# حركة بو حمارة واثرها في تاريخ المغرب الاقصى [1902-1909]

**م.هدى حسين موسى**
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

**المقدمة:**

لعل اهم ما يميز تاريخ الكثير من الدول هو حدوث العديد من الازمات والتمردات بعد وفاة كل سلطان او رئيس دولة وادعاء اصحاب تلك التمردات احقيتهم بالاستيلاء على السلطة وهذا ما حدث بالنسبة لموضوع بحثنا هذا.

يعد بوحمارة من ابرز الشخصيات التي ثارت واعلنت تمردها على السلطة المغربية في بدايات القرن العشرين، اذ استطاع هذا الشخص بما يمتلك من قدرة في التأثير في نفوس الناس وسرعة البديهية ومعرفته بالسحر والشعوذة وعلم الفلك من اعلان تمرده على السلطان المغربي مستغلاً الاوضاع السياسية والاقتصادية المتدهورة في البلاد نتيجة لوجود سلطان يبلغ من العمر 13 سنة لا يعرف ان يدبر امور البلاد منشغلاً بالالعاب والابتكارات الاوربية، وكان لهذه الاوضاع دور كبير في افلاس خزينة الدولة، فضلاً عن رغبة بوحمارة في حكم البلاد مدعيا انه الامير محمد اخو السلطان عبد العزيز اذ كان هذا الادعاء له دور كبير في نشر حركته وحصوله على تأييد واسع من عدد كبير من القبائل المغربية فضلا عن حصوله على مساعدات مالية واسلحة من الجزائر وفرنسا واسبانيا وهذا ما مكنه من الاستمرار بحركته هذه على مدى سبعة اعوام.

كان بوحمارة يعلم علم اليقين بان اي محاولة للاستيلاء على السلطة سيكون مصيرها الفشل اذا لم تقترن بالطابع الشرعي وهذا الطابع تمثل في ان يكون الشخص الراغب في الاستيلاء على السلطة هو احد افراد الاسرة الحاكمة والا سوف يعد متمرداً وخارجاً على سلطة الدولة وهذا ما شجعه على الادعاء انه الامير محمد اخو السلطان عبد العزيز.

## أوضاع المغرب الاقصى قبل ظهور حركة بو حمارة

سعى السلطان الحسن الاول الذي حكم المغرب الاقصى ما بين عام 1873 الى عام 1894 الى المحافظة على وحدة وسيادة البلاد والتصدي بكل الوسائل الممكنة لمواجهة المؤامرات الاستعمارية للدول الاجنبية الطامعة في البلاد اذ اتبع السلطان سياسة التوازن بين الدول والمتمثلة بعدم تفضيله لدولة اجنبية على حساب اخرى في منحه للامتيازات، مما شجع الدول الأجنبية على التنافس فيما بينها للانفراد بتلك الامتيازات حتى لو اضطرها ذلك للدخول في صراع مسلح مع بعضها البعض، كما عمد السلطان الحسن الاول الى استحداث اجهزة حكومية جديدة لم تكن موجودة قبل ذلك مثل وزارة الخارجية التي كان يعرف وزيرها بوزير البحر او وزير الشؤون البرانية، فضلا عن تسليح الجيش المغربي وتجديده وتزويده بأحدث الاسلحة المتطورة وبنى لهذه الغاية عدداً من مصانع السلاح في مدينة فاس وجلب افضل المدربين الفرنسيين والاسبانيين والانكليز والايطاليين، فعاشت المغرب الاقصى في عهده اعواماً من النفوذ والقوة والهيبة في مواجهة الاطماع الاجنبية[1].

كان الوزير احمد بن موسى المعروف باسم (ابا حماد)[2]، من المقربين جداً للسلطان الحسن الاولى واشرف على ادارة الكثير من شؤون البلاد حتى انه لما قربت الوفاة من السلطان الحسن الاول تولى الوزير احمد بن موسى كتابه الوصية بالامور التي يريدها هو وعمل على اخذ التواقيع من الوزراء وكبار قادة الدولة، كما عمل على الاشراف على غسل وتبديل ملابس السلطان بعد وفاته وطلب من نساء السلطان وقادته اخفاء خبر الوفاة حتى لا يصل الى القبائل المتمردة لاسيما ان الوفاة حصلت اثناء قمع السلطان لتمرد قبيلة آيت شخمان[3]، فرفض الوزير الاعلان عن الخبر الى ما بعد العودة الى مراكش، وقد عومل السلطان الحسن الاول المتوفي اثناء الطريق كما لو كان على قيد الحياة ويعطي الاوامر حتى لايعرف احد خبر وفاته فتضطرب الاوضاع وتزداد المشاكل في البلاد، وما ان وصلوا الى مراكش حتى اعلن الوزير احمد بن موسى خبر وفاة السلطان الحسن الاول وتعيين ابنه عبد العزيز البالغ 13 سنة من العمر سلطانا حسب الوصية التي اوصى بها السلطان واجبر الوزراء على التوقيع عليها رغم رفض بعضهم لصغر عمره الا انهم وقعوا بعد ان اظهر لهم الوزير وصية مكتوبة من السلطان المتوفي بخط يده وموقعه من قادة الجيش[4].

وبعد ان تولى السلطان عبد العزيز الحكم والذي لم يكن يملك منه سوى الاسم فقط اذ كانت جميع شؤون البلاد تدار من قبل الوصي الوزير احمد بن موسى الذي سيطر على جميع شؤون البلاد وتصرف في كل صغيرة وكبيرة من اموره، فكان يدخل على السلطان الصغير ويعلمه كيفية التصرف وكيفية الاجابة على اي طلب يقدم اليه وكيفية استقبال الضيوف والرد عليهم حسب مكانة كل شخص فيهم وفق عبارات وكلمات يلقنها له، ولا يخفى ما كان يتمتع به الوزير احمد بن موسى من نشاط وقوة وشجاعة وذكاء في تدبير شؤون الدولة والخدمة فيها حتى في الاعوام التي كان السلطان الحسن الاول على قيد الحياة[5].

واثناء حكم السلطان عبد العزيز حدثت الكثير من التمردات القبلية بسبب الفساد والاوضاع الاقتصادية المتدهورة وبطش قادة الجيش وسرقة ونهب القرى المجاورة اذ اعلنت قبائل الرحامنة ودكالة والسراغنة تمردها على السلطة الشكلية للسلطان عبد العزيز معتبرة ان السلطة الفعلية كانت في يد الوزير احمد بن موسى وان تلك القبائل تريد تعيين سلطان حقيقي قادر على ادارة شؤون البلاد، وبناءاً على ذلك اعلنوا تأييدهم وبيعتهم للأمير محمد الابن الاكبر للسلطان الحسن الاول[6].

ومن الجدير بالذكر ان السلطان الحسن الاول كان قد عزل ابنه الاكبر الامير محمد الذي كان خليفته على مراكش لسوء تصرفاته ولأفعاله المخالفة للأحكام الشرعية وسوء ادارته لشؤون الحكم، الا ان القبائل ارادت الهجوم على مراكش بعد وفاة السلطان الحسن الاول واطلاق سراحه وتعيينه سلطاناً كونه الابن الاكبر للسلطان الراحل[7].

وبالرغم من القضاء على تمرد تلك القبائل وتكبدها خسائر كبيرة بالارواح والمعدات العسكرية واجبارهم على دفع اموال ضخمة للسلطة المغربية كتعويضات على الاضرار الجسيمة التي لحقت بالقوات الحكومية واجبارهم على عدم تكرار تلك التمردات، الا ان ذلك لم يمنع من حدوث تمردات قبلية اخرى اخمدت كحال سابقتها فخيرتهم السلطات المغربية ما بين الاستسلام ودفع الضرائب او البقاء محاصرين واجبارهم على اعداد الطعام والمؤونة للقوات التي تحاصرهم حتى تنفذ منازلهم من الاطعمة ويضطرون الى الاستسلام في النهاية[8]، ورغم تسديد الضرائب المفروضة على تلك القبائل الا ان ذلك لم يمنع السلطات الحكومية من الهجوم عليهم والاستيلاء على جميع اموالهم وحيواناتهم وتعريضهم لاشد انواع التعذيب وقطع رؤوس الكثير منهم واسروا اعداد اخرى بأمر من السلطان عبد العزيز وبتوجيه من الوزير احمد بن موسى[9].

شهد المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول والسنوات الاولى من عهد السلطان عبد العزيز الذي تولى فيه الحكم الفعلي للبلاد الوصي احمد بن موسى، قدرة كبيرة في ادارة شؤون الجيش والسيطرة على امور البلاد، الا ان هذه الاوضاع لم تستمر لاسيما بعد وفاة احمد بن موسى عام 1900[10]، اذ عانت البلاد من مشاكل سياسية واقتصادية ومالية كبيرة فضلا عن فقدان قدرتها على ادارة شؤون الجيش مما مكن الدول الاجنبية من التدخل في شؤونه الداخلية واثارة الفتن وتحريض المتآمرين على السلطة، فضلا عن اغراق البلاد بالكثير من الديون والقروض الخارجية[11]، لا سيما وان السلطان عبد العزيز كان قد انشغل بالآت اللهو واللعب الاوربية الحديثة كالدراجات والسيارات والآت التصوير والآت قص الاعشاب والزوارق والعاب التنس واحضار الات الموسيقية واقامة الحفلات وادخال الالعاب النارية الى البلاد[12]، اذ كان السلطان عبد العزيز كثير الاعجاب بالتطور الاوروبي وكان يطلب من مستشاريه الأوروبيين ان يزيدوا من احضار تلك البضائع بكميات كبيرة، وقد ظهر السلطان عبد العزيز في الكثير من الصور وهو يرتدي الملابس العسكرية الانكليزية او الروسية او وهو يرتدي ملابس لعب البولو او التنس فلم يصدق الكثير من ابناء الشعب المغربي ان ذلك الشخص هو سلطانهم عبد العزيز حتى اعتقدوا ان الاوربيين قد اختطفوا سلطانهم واحضروا شخصا شبيهاً له[13].

وبهذه الاوضاع التي كان يعيشها السلطان عبد العزيز قبل وفاة وصيه لم يكن قادراً على ادارة شؤون البلاد بعد وفاة احمد بن موسى وهو لم يبلغ العشرين من عمره[14].

وبعد نهاية ستة اعوام عاشها السلطان عبد العزيز تحت وصاية الوزير احمد بن موسى، دخلت المغرب الاقصى مرحلة جديدة في تاريخها، اذ اراد السلطان اجراء العديد من الاصلاحات الادارية والمالية والتعليمية والعسكرية في البلاد ومنها فرض ضريبة الترتيب[15]، الا انها جوبهت بانتفاضة شعبية عارمة نتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة في البلاد، كما اراد السلطان اصلاح التعليم الا انه بقي مقتصراً على العلوم الدينية والفقه واصوله وعلم الحديث والتوحيد، فضلا عن ضعف الجيش المغربي وسوء تنظيمه وحدوث الكثير من الفتن والمؤامرات الداخلية التي اضعفت هيبة هذا الجيش الى حد بعيد[16].

فضلا عن ان هذه المحاولات الاصلاحية لم تكن بالمستوى المطلوب ولم تحقق الغاية التي انشئت من اجلها فمعامل الاسلحة في مدينة فاس والقطن في مدن الرباط

ومراكش ومشاريع السكك الحديدية كلها مشاريع اتسمت بسوء الادارة وتبذير الكثير من الاموال التي انفقت عليها، وقد اعتقد السلطان عبد العزيز ان المساعدات المالية الخارجية والقروض الاجنبية هي الحل الوحيد لمشاكل البلاد مما زاد في الطين بلة اذ غرقت البلاد بالكثير من الديون الخارجية نتيجة لتلك القروض[17].

هذه الاوضاع مجتمعة التي عاشها المغرب الاقصى في عهد السلطان عبد العزيز ساعدت على ظهور الكثير من حالات التمرد على الاوضاع الداخلية وعلى السياسة التي اتبعها السلطان مع الدول الاجنبية ومن هذه التمردات تمرد بوحمارة الذي سنتناوله في بحثنا هذا.

**اسمه ونسبه**

هو الجيلالي او الجيلاني بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني، سُمي بهذا الاسم نسبة الى جبل زرهون القريب من مدينة فاس المغربية، اختلفت الروايات في ذكر عام ولادته اذ ذكر محمد الصغير الخلوفي في كتابه بو حمارة من الجهاد الى التآمر انه ولد عام 1862 بينما ذكر كريدية ابراهيم في كتابه ثورة بو حمارة انه ولد عام 1865 بينما ذكر عبد الوهاب بن منصور في كتابه اعلام المغرب العربي انه ولد عام 1865[18]، ولقب بالكثير من الالقاب منها الروكي وهو لقب يطلق على كل شخص متمرد ينسب لنفسه صلة القرابة بالاسرة الحاكمة دون اي سند شرعي او قانوني[19]، كما اطلق عليه لقب الدعي والفتان والدجال وكان اقوى تلك الالقاب واكثرها ذكرا في كتب التاريخ لدرجة انه طغى على اسمه الحقيقي هو لقب بوحمارة[20].

كان الجيلالي الزرهوني مربوع القامة ابيض الوجه مع صفره، نحيف الجسم مع وجود جرح على كتفه اثر اصابته برصاصة، وكانت احدى عينيه قريبة الى العور، بينما ذكر المقربون منه انه كان يرخيها عند استقباله الضيوف ليبين لهم انه الامير محمد بن السلطان الحسن الاول[21].

امتاز الجيلالي الزرهوني بالذكاء والفطنة فضلاً عن معرفته بالكثير من امور الدين والشرع وذا معرفة كبيرة بعلوم التنجيم والسحر والشعوذة والتوقيت والحساب فضلاً عن قدرته العالية في التأثير في نفوس الناس[22] .

ارسله اهله عندما كان صغيراً الى العاصمة فاس والتي كان والده معلما فيها، فتلقى تعليمه فيها واتقن اللغة الفرنسية وسعى للحصول على تعليم عالٍ كما خدم في الجيش المغربي تحت آمرة قائد الجيش المغربي عبد الكريم بن محمد الشرقي في عهد

السلطان الحسن الاول، وكان ضمن الطلبة المهندسين الذين تم تعيينهم وتدريبهم الامور العسكرية الحديثة على يد القبطان طوماس احد ضباط البعثة العسكرية الفرنسية بامر وتوجيه من السلطان الحسن الاول[23].

وبعد ان أتم الجيلالي الزرهوني تعليمه وتدريبه، حصل على وظيفة صغيرة في القصر السلطاني الا انه اتهم بتزوير توقيع السلطان فسجن لمدة عامين، وبعد خروجه من السجن عين كاتباً عند الامير عمر ابن السلطان الحسن الاول الذي كان خليفة للسلطان على فاس[24].

وفي هذه المدة تعرف الجلالي الزرهوني على المهدي بن العربي المنبهي[25]، وتقوت علاقات الصداقة بينهما لدرجة كبيرة [26]، واستطاع الجيلالي الزرهوني من خلال وظيفته ككاتب من التعرف على الكثير من اخبار واسرار القصر السلطاني وتقاليده وامرائه حتى انه شارك في انتفاضة الامير عمر عام 1892-1893 والتي حدثت بعد وفاة السلطان الحسن الاول توليه ابنه الاصغر عبد العزيز للحكم وهو في عمر 13عاماً بوصاية من الوزير احمد بن موسى متجاهلاً ابناء السلطان الاكبر من عبد العزيز وهما الامير محمد الذي سجن كما ذكرنا سابقا والامير عمر الذي بقي كخليفة في فاس، بينما عين الامير الاصغر عبد العزيز الذي كان ملازماً للسلطان في كل سفراته ورحلاته وحروبه فعين ولياً للعهد وخليفة للبلاد بعد وفاة السلطان[27]، فاصبح للجيلالي الزرهوني من خلال هذه المشاركة معرفة واسعة بطبيعة المنطقة الجغرافية والتعرف على القبائل المغربية الساكنة فيها، فضلاً عن تعرفه على ولاء تلك القبائل للسلطة من عدمه وهذا ما ساعده لاحقا في نجاح تحركاته وتنقلاته اثناء اعلان تمرده عام 1902[28].

ونتيجة لاعلان عبد العزيز سلطاناً للبلاد بعد وفاة والده، اراد الامير عمر منع الاشخاص الذين جاؤوا لتقديم التهاني للسلطان الجديد من الدخول الى القصر واظهار فرحهم وامر اتباعه بضربهم والتنكيل بهم وكان من قام بهذه المهمة هو الجيلالي الزرهوني والمهدي المنبهي، فما كان من الوزير احمد بن موسى الا ان قام بأبعاد المنافسين عن السلطة، اذ وضع الامير عمر بعيداً عن الامور السياسية والادارية الرسمية حتى مات بعد مدة من الزمن، اما الامير محمد فقد سُجن كما سجن الجيلالي الزرهوني والمهدي المنبهي[29].

ويذكر المختار السوسي في كتابه المعسول ان الناس تداولت فيما بينها اخباراً عن ان الجيلالي عندما كان في السجن مع المهدي المنبهي ومحمد انفلوس الحاحي بدؤوا

يستطلعون مستقبلهم، فقال لهم محمد انفلوس انه سيصبح شخصاً تتبعه الناس وتقدره، بينما قال المهدي المنبهي بأنه سيصبح وزيراً بينما اخبرهم الجيلالي الزرهوني بأنه سيصبح ملكاً ويحارب المهدي المنبهي في وزارته[30].

وبعد خروجهم من السجن نجح محمد انفلوس الحاحي في ان يصبح عاملاً على مدينة حاحا، واستطاع المهدي المنبهي من التقرب من الوزير احمد بن موسى واغدق عليه الهدايا والاموال لاستمالته الى جانبه حتى ولاه على قبيلة، المنابهة في حوز مراكش وبدأ بتوسيع نفوذه وسيطرته حتى اصبح وزيرا للحربية بعد وفاة الوزير احمد بن موسى[31]، فأراد الجيلالي الزرهوني التقرب من صديقه المهدي المنبهي في الحصول على وظيفة جيدة او سلطة ذات نفوذ، الا ان المهدي المنبهي تجاهلة ولم يستقبله قبولاً حسناً، فاقسم الجيلالي الزرهوني على ان يصبح اميراً مثلماُ اصبح صديقه وزيراً[32].

وعندما اقترب الجيلالي الزرهوني من الاربعين من عمره وبعدما رئيس من مساعدة المهدي المنبهي له، توجه لطريقة اخرى لتعزيز نفوذه، ففي عام 1900 توجه لاداء فريضة الحج ثم سافر الى الجزائر وتونس اكثر من مرة وبدأ يتنقل بين المدن والتقى بزعماء قبائلها وشيوخ وعلماء الطريقة الدرقاوية اذ ادعى انه من اتباع هذه الطريقة واظهر على ملامحه علامات الزهد والتدين من اجل الحصول على تأييد ومساندة الكثير من القبائل ثم انتقل الى قبيلة الحياينة بإقليم تازة وهناك اظهر لرجال تلك القبيلة علمه ودينه ومعرفته العالية بامور دينهم حتى انه ادعى انه الامير محمد بن الحسن الاول[33].

كما تنقل الجيلالي الزرهوني بين قبائل بني سادن وبني وارين وواتسول وقبائل البرانس وعندما وصل الى قبيلة غياثة قام الجيلالي الزرهوني وبما يمتلك من قدرة وحيل سحرية بطلب شاي ليشربه ولما اخبروه بعدم وجود اوراق النعناع التي تضاف الى الشاي المغربي ارسل احد الاشخاص ليحضر اوراق النعناع من احد المزارع القريبة من تلك القرية، وبعد رفض صاحب المزرعة اعطاءه اوراق النعناع، اخبر الجيلالي الزرهوني ابناء قبيلة غياثة بقدرته على احراق تلك المزرعة وهو جالس في مكانه ونتيجة لخدعة سحرية او مساعدة احد اتباعه اندلعت النار في تلك المزرعة، فكانت هذه الحادثة سببا اساسياً في دفع عامة الناس البسطاء على موالاته واعلان تأييده ونصرته ففرح الجيلالي الزرهوني بذلك واخبر ابناء القبيلة بانه لديه القدرة على احراقهم واحراق قريتهم اذا

امتنعوا عن مساندته، فأنضم اليه عدد كبير من ابناء تلك القبيلة حتى اللصوص والراغبون في الحصول على الاموال والنفوذ والسلطة انضموا اليه[34].

وبعد ان حصل الجيلالي الزرهوني على دعم العديد من القبائل المغربية بدأ يتقرب من الجزائر ويتصل ببعض الشخصيات المهمة فيها اذ التقى بشيخ درقاوة عبد القادر بن عدة كما اصبح بو حمارة شيخاً لزاوية صوفية عرفت باسم الطريقة النورانية اذ كان اتباع هذه الطريقة ينشرون افكارها وتعاليمها عن طريق نشرات خاصة مكتوبة بخط اليد على اجزاء واسعة من المناطق المغربية[35]، ثم توجه نحو مدينة وجدة عام 1901 وهناك بدا حملته المعارضة للسلطان عبد العزيز وضد التدخلات الاجنبية في شؤون المغرب، اذ حصل الجيلالي الزرهوني على الكثير من الاموال والسلاح سواء من الجزائريين او من الفرنسيين بصورة سرية، ثم توجه نحو قبائل انجاد وبين يزناسن وحصل على دعمهم ومساندتهم له وعندما وصل الى قبائل الحيانية اعلن نفسه بأنه الامير محمد الذي تم ابعاده عن العرش ونصب مكانه اخاه عبد العزيز[36].

**بداية حركته:**

بدأ بوحماره[37] يأخذ البيعة والعهود من القبائل المؤيدة له على ان لا يخالفوا له امراً وان يضحوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الحفاظ على سلامته، فتوجه الى مدينة تازة عام 1902 واقام فيها على مدى يومين ، سلم فيها اهل المدينة له بعد خوفهم من اي اذى قد يلحقه بهم ومن هذه المدينة اعلن بوحمارة حركته بعد ان اقام فيها صلاة الجمعة باسم الامير محمد بن الحسن فابدى الكثير من اشراف المدينة واعيانها بعد تأكدهم من رفض السلطات المغربية الاستجابة لنداء عاملها على تازة عبد السلام الامراني في التصدي لتلك الحركة اذ اعتبر وزراء السلطة ان تلك الحركة حالها حال الكثير من التمردات التي حدثت في ذلك الوقت في المغرب والتي اخُمدت بشكل سريع دون ان تسبب اي خطر كبير على السلطة[38].

في هذه الاثناء كان السلطان عبد العزيز في فاس ينوي السفر الى مدينة مراكش فلما علم بخبر حركة بوحمارة في مدينة تازة، قرر العدول عن سفره، الا ان وزراءه اقنعوه بعدم اهمية ذلك الحدث، ومع هذا ارسل السلطان قوات عسكرية وصل عددها الى 2000 جندي لمحاربة ذلك التمرد واسندت القيادة فيه للامير مولاي الكبير الاخ غير الشقيق للسلطان عبد العزيز، فجرت مناوشات بسيطة بين الطرفين في منطقة عين القدح القريبة من فاس اذ تمكنت قوات بوحمارة من هزيمة القوات السلطانية مرتين يوم 5

تشرين الثاني عام 1902 ويوم 8 تشرين الثاني من العام نفسه، الا ان القوات السلطانية تمكنت بعد ذلك من اسر اشخاص من رجال بوحمارة وقتلت 7 اخرين ارسلت رؤوسهم الى فاس لتعلق على سور باب المحروق، كما ارسل لعبد السلام الامراني عامل تازة اوامر بالالتحاق لمساندة قوات مولاي الكبير فضلا عن اقناع السلطان عبد العزيز من قبل وزرائه بمغادرة فاس يوم 10 تشرين الثاني والتوجه نحو مراكش للراحة والاستجمام بعيدا عن احداث التمرد[39].

ومن الجدير بالذكر ان القوات السلطانية التي وصل عددها الى 15000 مقاتل كانت مقسمة الى خمس فرق على راس كل فرقة قائد يتولى قيادة تلك الفرقة دون ان يكون له تنسيق وتعاون مع قادة الفرق الاخرى فبعد بعض المناوشات الجديدة التي استمرت ما بين 15 الى 20 كانون الاول، قامت قوات بوحمارة بهجوم مفاجئ وعنيف على القوات السلطانية لمولاي الكبير في 20 كانون الاول عام 1902 فهرب جنود السلطان حفاة عراة تاركين خيامهم وتموينهم واسلحتهم دون ان تقدم باقي الفرق العسكرية الدعم لهم بل ان هذه الهزيمة جعلت الفرق المتبقية تنسحب تاركة غنائم حربية واسلحة كثيرة بينها 12 مدفعاً حصلت عليها قوات بوحمارة فضلاً عن غرق عدد كبير من قوات السلطان في وادي اللبن والاستيلاء على اسلحتهم[40].

عاد بوحمارة بعد ذلك الى مدينة تازة اذ بدأت احتفالات اتباعه بالانتصارات الكبيرة التي تحققت على القوات السلطانية كما قاموا بإعادة تنظيم جيشهم واختيار القادة الاقوياء وتقوية علاقاتهم بالقبائل المغربية ومن هذه القبائل قبيلة غياثة التي تزوج بوحمارة احدى بناتها كما امر بوحمارة اتباعه ببناء مخازن للمحاصيل الزراعية كالقمح والشعير وبناء حضائر للحيوانات وبنى فيها الكثير من المنازل التي ما زالت قائمة حتى اليوم، فضلاً عن الاستعداد للهجوم على فاس[41].

بدأ سكان مدينة فاس يتوقعون هجوم قوات بوحمارة عليهم في اي لحظة والاستيلاء على ممتلكاتهم واموالهم فأغلق اصحاب المحال محلاتهم بعد ان نقلوا بضائعهم الى اماكن اخرى اكثر امناً خوفاً من النهب، كما بدأ سكان فاس لاسيما الاغنياء منهم بخزن الاطعمة خوفاً من تعرضهم لحصار قد يطول امده[42].

القيت مسؤولية هذه الهزيمة على عاتق وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان وعبد السلام الامراني عامل تازة وعددا من القيادات العسكرية الكبيرة التي لم تحسن التنسيق والتعاون مع الفرق العسكرية الخمسة المتحاربة[43].

بدأت الدول الاوربية بعد هذه المعركة تتخوف على قواتها من تطورات الاحداث في المغرب فقررت بريطانيا زيادة قواتها المرابطة في جبل طارق كما زادت اسبانيا من قواتها العسكرية على ساحل المغرب الشمالي بينما قررت فرنسا ارسال البارجة العسكرية دوشايلا من وهران الى طنجة بأسرع وقت وعززت قواتها العسكرية في الجزائر ونشرتها على طول الحدود مع المغرب، بينما عمل السلطان عبد العزيز بأرسال رسائل التعبئة الى جميع قواده واتباعه وعماله وولاته في جميع المناطق المغربية واوكل لوزير الحربية المهدي المنبهي مهمة القضاء على حركة بوحمارة[44]، فضلا عن اطلاق سراح اخيه المسجون الامير محمد وسمح للناس رؤيته والاختلاط به كي يتأكد لهم صحة نسبه ويكذبوا دعوة بوحمارة[45]، اذ آمر السلطان عبد العزيز من اخيه الامير محمد بعد ان وعده بتعيينه واليا على فاس بالخروج يومياً للالتقاء بعامة الشعب في الشوارع والاماكن العامة حتى يشاهده جميع الشعب فيدركون كذب ادعاء بو حارة، وكان لهذا التصرف رد فعل كبير في تخلي الكثير من القبائل المغربية عن دعم بوحماره والوقوف الى جانبه[46].

كما قامت السلطات المغربية بطبع مئات المنشورات التي وزعتها في مناطق البلاد المختلفة والتي حذرت فيها من التأييد او الدخول في حركة بو حمارة، كما عرضت جوائز مالية كبيرة لمن يحضره حيا كان او ميتا، فضلا عن قيام رجال الدين والعلماء بكتابة نصائح موجهة الى الشعب تحذرهم فيه من مخالفة اولي الامر وان السلطان عبد العزيز شخص مؤمن ملتزم بشرائع الاسلام وانه وصل الى الحكم بالطرق الشرعية الصحيحة على عكس ما جاء به بو حمارة من كذب واقتراع[47].

تراجع بوحمارة عن رغبته في احتلال مدينة فاس ووجه انظاره الى الحدود الشرقية والشمالية للبلاد، اذ سعى في الحصول على الدعم الخارجي من تجار الاسلحة فضلاً عن دعم شيوخ القبائل ورؤساء الطرق الصوفية لاسيما في عدد من مدن الجزائر المهمة ومن هؤلاء الشيخ بوعمامه، وابنه الطيب وعبد الملك بن محي الدين حفيد عبد القادر الجزائري، وعبد القادر العتيقي واحمد الريسوني وكان لكل واحد من هؤلاء دور كبير في دعم وتقوية نفوذ بوحمارة في مواجهة القوات السلطانية[48].

كان الشيخ بو عمامة اول من آيد دعوة بو حمارة وسانده ضد القوات السلطانية اذ ارسل الشيخ بو عمامه ابنه الطيب مع عبد الملك بن محي الدين بن عبد القادر الجزائري لاستقبال بوحمارة عندما كانت قواته بين مدينة وجدة مسون فرحب بوحمارة بهما وجعل عبد الملك يتولى مسؤولية قيادة جيشه، كما قاد الشيخ بو عمامه احدى الهجمات القوية

على القوات السلطانية وارسل رسالة الى بوحمارة يخبره فيها بالانتصار الذي تحقق على يد ابتاعه ويطلب منه التعجيل بالقدوم من تازة الى وجدة، ورغم استمرار التعاون بين بوعمامه وبو حمارة عدة سنوات الا ان هذه العلاقة بدأت تفتر بين الطرفين اذ قرر بوعمامه التوقف عن دعم حركة بوحمارة[49].

اما الطيب بن بو عمامه فقد تمكن انصار السلطان عبد العزيز من استمالته الى جانبهم بعد اغراءه بالاموال[50] لاسيما بعد تخوف بو حمارة منه بعد ازدياد نفوذه وقدرته الكبيرة في ادارة الامور داخل جيش بوحمارة فقرر التخلي عن جيش بوحمارة والتوجه للمحاربة في صفوف السلطان عبد العزيز[51]، كما تخلى عبد الملك بن محي الدين عن مساندة بو حمارة وتوجه نحو القوات السلطانية اذ تبين فيما بعد انه عميل فرنسي كما هو الحال مع عبد القادر العتيقي،اما احمد الريسوني والذي كان من قطاع الطرق واللصوص الذين يسرقون وينهبون المارة وبعد خروجه من السجن ارسل اليه بوحمارة يعرض عليه تأييد حركته والوقوف الى جانبه في حربه للقوات السلطانية الا ان احمد الريسوني قرر ان يعمل لنفسه بعيدا عن بوحمارة باعتقاده انه افضل عنه واقدر على قيادة حركة مناهضة للسلطان بعيدة عن حركة بو حمارة[52].

وبعيدا عن تحالفات بوحمارة مع القبائل وبعض الشخصيات المهمة، قرر وزير الحربية لدى السلطان عبد العزيز وصديق بوحمارة القديم المهدي المنبهي الهجوم في 29 كانون الثاني عام 1903 على قوات بوحمارة بعد ان انسحبت الكثير من القبائل المغربية عن مساندة بوحمارة والتوجه للمحاربة الى جانب القوات السلطانية بعد اغرائها بالاموال حتى وصل عددها الى 70000 مقاتل وخلال الهجوم الذي تم من جوانب فاس الاربعة اصيب بوحمارة بجروح واسر 50 شخصاً من اتباعه وقتل 50 آخرين علقت رؤوسهم على سور باب المحروق كما هاجمت القوات السلطانية اتباع بو حمارة مرة اخرى في 12 شباط من العام نفسه الا انها عادت ادراجها الى فاس بسبب قله رواتب الجيش وقلة الطعام[53].

ومن الجدير بالذكر ان عبد الوهاب بن منصور يذكر في كتابه اعلام المغرب العربي الجزء الاول ان المهدي المنبهي كان يخفي هزائمه عن السلطان عبد العزيز اذ انه آمر اتباعه بقطع رؤوس كل من يجدونه في طريقهم من الفلاحين واحضارها الى فاس لتعلق على ابوابها على انها رؤوس اتباع بو حمارة قطعت من اجسادهم بعد هزيمتهم في المعركة[54].

ونتيجة لهذه الانتصارات التي تحققت للقوات السلطانية اقيمت العديد من الاحتفالات والافراح في مناطق مختلفة من البلاد مثل طنجة وتطوان واطلقت المدافع فيها 21 طلقة فضلاً عن اقامة العديد من مهرجانات الفروسية فيها[55].

اثناء هذه المدة، عمل بو حمارة على الحصول على تأييد القبائل لحركته وهذا ما حصل عليه اذ بايعته الكثير من القبائل المغربية مثل بني بوزكو واسجاع وانجاد ولمهاية واولاد سيدي علي، اما قبيلة بني يزناسن فلم تعلن تأييدها له الا بعد ان وصلت قواته على مشارف مدينة سلوان على بعد 20 كم قرب ميناء مليلية من اجل الحصول على العتاد والاسلحة والذخيرة من القوات الاجنبية التي وقفت الى جانبه في سبيل الحصول على امتيازات في المغرب هذا من جانب ومن جانب اخر لبث الفرقة وزعزعة الامن في البلاد وقد بذل الامير عرفة بن محمد عم السلطان عبد العزيز جهود كبيرة في تعريف الناس بكذب وافتراء دعوة بوحمارة ولولا تلك الجهود لانضم عدد كبير من الناس الى صفوفه لاسيما بعد الانتصار الذي حققته قواته قرب منطقة عيون سيدي ملوك في 5 نيسان عام 1903[56]، اذ توجه الامير عرفه وعامل وجدة احمد بن كروم الى معسكر مغنية في 13 نيسان للحصول على دعم فرنسا وبعد عودة احمد بن كروم في 21 نيسان الى وجدة وجد ان قبولاً كبيرا لافكار بوحماره قد انتشر في المدينة بمساعدة قاضي المدينة محمد بن الطيب فقرر احمد بن كروم الهرب مع اهله في 24 نيسان من المدينة متوجهاً الى شيخ احدى الزوايا الدرقاوية ثم توجه من هناك نحو مدينة مغنية طالبا الامدادات العسكرية لمواجهة الخطر المتزايد لاتباع بو حمارة[57]، كما اتصل وزير الخارجية المغربية عبد الكريم بن سليمان بالسفير الفرنسي في طنجه واخبره بضرورة تقديم الدعم الفرنسي للمغرب تنفيذاً لبنود الاتفاق الموقع بين البلدين عام 1902 والذي نص على ضرورة التعاون بين البلدين في حالة نشوب اي اضطراب قرب الحدود مع الجزائر، فارسلت فرنسا فرقة مدفعية برئاسة 3 ضباط فرنسيين و4 مساعدين جزائريين وكان لهذه المدفعية دور كبير في مواجهة خطر بوحمارة المتزايد في المناطق المغربية التي خضعت له اذ تمكن بوحمارة من الاستيلاء على مدفعين موجودين في ابراج سور القصبة و800 بندقية كان الامير عرفه وزعها على السكان المحليين ليدافعوا عن انفسهم كما كلف بو حمارة احد الجزائريين بعمل شعار له على هيئة رمحين ومظلة من الطراز الرفيع[58].

كان من اهم اسباب الهزائم المتكررة للقوات السلطانية هو ان اغلب قادة الجيش المغربي فيها في عهد السلطان عبد العزيز لا يملكون ادنى قدر من التعليم كما انهم

لايعرفون القراءة والكتابة ولا اي قدر من المعرفة بالامور العسكرية فضلاً عن ان السلاح المستعمل في تلك المعارك كان مصنوعا في معمل فاس الذي انفق عليه السلطان عبد العزيز الملايين من الاموال من اجل شراءة من ايطاليا، الا ان هذا السلاح رغم جمال صناعته ولونه الابيض الذي سمي بالبويضة لهذا السبب كان يتكسر بيد الجنود المغاربة لرداءة المواد المستخدمة في تصنيعه[59].

وبعد ان تزودت القوات السلطانية بالاموال والاسلحة من فرنسا عادت مرة اخرى لشن هجماتها على اتباع بوحمارة، ففي 16 ايار 1903 هاجمت القوات السلطانية مدينة تازة الا انها جوبهت بمقاومة شديدة من اهلها الموالين لبوحمارة فلم تتمكن القوات السلطانية من السيطرة على المدينة الا بعد شهرين[60]، اذ دخلت القوات السلطانية اليها في 7 تموز عام 1903 فأستبيحت المدينة من قوات المهدي المنبهي وقتل سكانها سواءاً كانوا من المسلمين او من اليهود ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم وانشغلت قوات المنبهي بالسلب والنهب والقتل وبيع الفتيات الصغيرات في سوق النخاسة بدلا من ان تشغل نفسها بملاحقة الفارين من اتباع بوحمارة، اذ ارسل المهدي المنبهي جيوشه لمعاقبه قبائل بعيدة عن سيطرة بو حمارة، بينما وقعت قواته في حصار من قبيلة غياثه كرد فعل على تصرفات الجيش في تازة[61]، فضلاً عن ان هذه التصرفات كان لها اثر كبير في تخلي الكثير من قبائل المغرب عن دعمها وتأييدها للقوات السلطانية[62].

استغل بوحمارة الحصار الذي فرض على القوات السلطانية في تازة من قبلية غياثة فقام بشن عدة هجمات ليلية خاطفة لقتل اكبر عدد ممكن من جنود المهدي المنبهي او اسرهم، فضلاً عن الحصول على اسلحتهم وعتادهم كما حاصر مدينة تازة والقصبان ومنع وصول الامدادات الى القوات المحاصرة في تازة مستغلا وجود المناطق الجبلية الوعرة التي اتخذها مكاناً للتحصن فيه مما يصعب على القوات السلطانية مهاجمتها والتعرض لها، وساهمت هذه الاوضاع مجتمعة في اضعاف القوات السلطانية بسبب النقص الكبير في الاغذية والمعدات الحربية التي امتلكوها حتى ان المهدي المنبهي وجد طريقة لاخراج نفسه من تازة متوجهاً نحو فاس للالتقاء بالسلطان عبد العزيز طالباً منه التوجه للاقامة وسط القبائل المغربية لاضعاف موقف بوحمارة[63]، اذ اخبره المهدي المنبهي بأن قواته تمكنت من السيطرة على مدينة تازة الا انها بحاجة الى العديد من الامدادات العسكرية والمؤن، فزودهم السلطان بقافلة من المساعدات الغذائية والاسلحة تحت حراسة 400 فارس راجل، الا ان تلك القافلة تعرضت لهجوم من اتباع بوحمارة

الذين قتلوا عدداً من حراسها وسرقة ما بين بغلتين او ثلاثة محملة بالاموال من تلك القافلة[64].

استجاب السلطان عبد العزيز لطلب المهدي المنبهي في الاقامة وسط القبائل المغربية لتقوية موقفه والحصول على مساندتهم فضلا عن القضاء على الاشاعات التي اطلقت آنذاك والتي تتحدث عن قيام فرنسا بخطف السلطات عبد العزيز ووضع شخصاً اخراً شبيهاً له في فاس الا ان القوات السلطانية لم تحقق اي انتصار يذكر على قوات بوحمارة مما دعا السلطان عبد العزيز الى سحب قواته من تازة بأتجاه وجدة، اذ بين السلطان الاسباب التي دعته الى سحب قواته في الخطاب الذي اذاعه للشعب المغربي في 23 تشرين الاول عام 1903 وهي اسباب بعيدة جداً عن الحقيقة المتمثلة بعدم قدرة القوات السلطانية على مواجهة قوات بوحمارة[65].

اراد بو حمارة استغلال الاوضاع المضطربة للجيش السلطاني فتمكنت قواته من محاصرة مدينة وجدة، الا انه اصطدم بالقوات السلطانية التي ارسلها قائد الجيش في تازة والتي تمكنت من التسلل ليلا نحو وجدة واحتلال مدينة مسون، فأراد بوحمارة معاودة الهجوم على مدينة تازة بعد ان وصلته اخبار تتحدث عن قلة عدد الجيوش السلطانية الموجودة فيها، الا انه تفاجأ بوجود القوات التي تمكنت من احتلال مدينة مسون فعاد نحو وجده فاصطدم مرة اخرى بوجود قوات سلطانية قادمة مرة اخرى من تازة فتعرض العديد من اتباعه للقتل، الا انه تمكن مع بعض اتباعه من الهرب نحو تازة مستغلاً خلوها من القوات السلطانية فبقي هناك ما تبقى من عام 1903 وطوال 1904 يجمع اتباعه ويقوي صفوفه بمساعدة انصاره الكبار[66].

سعى بوحمارة لتقوية نفوذه وتوسيع حركته وزيادة مجالات التعاون السياسي من خلال الزواج من حفيدة القائد حمادة بن المختار البوزكاوي وكان هذا القائد متزوجاً من السيدة حليمة بنت السلطان الحسن الاول اذ ارسل بوحمارة في 21 اب عام 1904 وفداً كبيراً ما بين70 الى 85 رجلاً من كبار اتباعه وانصاره فضلاً عن عدداً من النساء وعشر بغال محملة بالهدايا والاموال، فاستقبلهم القائد حمادة واحسن ضيافتهم وفي وقت متأخر من الليل طلب منهم الاستحمام في حمامه الخاص قبل الخلود للنوم وكان القائد حمادة قد اعد العدة وهيأ رجاله واصحابه للهجوم عليهم بالسيوف والسكاكين والخناجر ولم يسلم من هذه الحادثة سوى رجلين فقط من اتباع بوحمارة، وفر القائد حمادة واسرته مع انصاره

في 200 خيمة وتوجه بهم الى مدينة وجدة فأستقبله السلطان عبد العزيز وهنأه على شجاعته هذه وأكرمه بفرسين ومكحلتين وكسوتين و50 كسوة لرجال قبيلته[67].

ولما وصل الى بوحمارة خبر مذبحة اتباعه في حمام القائد حمادة توجه الى مكان الحادث وعاث فيه وخربه، ثم توجه الى مدينة وجدة وهاجم القوات السلطانية الموجودة هناك ثم عاد الى قصبة سلوان ومنها توجه الى مدينة فاس وتازة وبقي هناك مدة يتحين الفرص ليهاجم المدن المغربية مرة بعد مرة[68].

بدا بوحمارة ومنذ عام 1905 بالاهتمام بأمور جيشه وتأسيسه وفق نظام حديث ومتطور على غرار جيوش الدول ولهذه الغاية قسم جيشه لثلاثة اقسام هي:

1. فرقة المشاة وبلغ عددها 1500 جندي مسلحين بأسلحة غنائم من الجيش المغربي.
2. فرقة المدفعية وتم تزويدهم بـــ45 مدفعاً و(2) من الاسلحة الجماعية النمساوية الصنع ومدفع كبير عيار 80 ملم ومدفعين ذي مدى بعيد وثلاث رشاشات.
3. فرقة الخيالة والبالغ عددها 1200 فارس جمعوا من القبائل المغربية واكثرهم من قبيلة غياثة[69].

كما أمر بوحمارة بصنع طابعين سلطانين له احدهما كبير والاخر صغير يختم به الرسائل المرسلة الى اتباعه على غرار الطابع السلطاني للسلطان عبد العزيز، فضلاً عن انشائه حكومة شغل اتباعه الوظائف فيها، كما انشا الكثير من المراكز والمؤسسات الادارية في دولته[70] فضلا عن تعيينه قائدا على كل قبيلة مؤيدة له فأنتشر نفوذه انتشاراً كبيراً بين القبائل لاسيما ان تلك القبائل كانت تعتقد ان بوحمارة حتى تلك المدة هو الامير محمد ابن الحسن الاول، الا ان هناك بعض الشخصيات رفضت اعلان الولاء له بسبب تشككها في صحة النسب الذي اعلن هو الانتماء له ومن هؤلاء الشريف محمد امزيان وهو الذي قضى فيما بعد على نفوذ بو حمارة في منطقة الريف[71].

**كانت هناك عدة عوامل ساعدت بو حمارة على نمو وانتشار حركته وهي:**

1. اغراؤه لمجموعة كبيرة من المجرمين والمغامرين والقتلة واللصوص ومنحهم امتيازات واموال كثيرة ومناصب كبيرة في حكومته فضلاً عن تقريبه لبعض الجزائريين امثال صالح التلمساني وجعله الصدر الاعظم في دولته وعبد الملك بن محي الدين حفيد عبد القادر الجزائري وجعله رئيس مصلحة المخابرات وعبد القادر البارودي وجعله وزير الخارجية فضلا عن الى تقريبه لعدد من كبار رجال الطرق الصوفية.

2. اتباعه سياسة القتل والتنكيل لكل من يرفض اتباع سياسته والاستيلاء على ممتلكاتهم.
3. التاثير بالرأي العام السياسي للحصول على دعمهم لحركته فضلا عن الى التقائه بالكثير من الصحفيين الاجانب.
4. تقوية علاقاته مع الدول الاجنبية مثل اسبانيا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية التي زودته بالاسلحة والمعدات الحربية والملابس فضلاً عن المساعدات التي كانت تقدم له عن طريق البر والبحر من الجزائريين.
5. الاوضاع المادية والمعنوية السيئة للجيش المغربي في عهد السلطان عبد العزيز اذ عانى الجيش من عدم حصوله على الراتب وبالتالي لجوء الكثير من الجنود الى السرقة او الاستجداء او ترك الجيش والعودة لأهلهم او اللجوء الى الجزائر ليشتكوا اوضاعهم المادية للسلطات الفرنسية[72].

استغل بوحمارة الاوضاع المالية المتدهورة التي تعرضت لها الحكومة المغربية وعدم قدرتها على تسديد رواتب جيشها الذي هرب عدد كبير منه نحو الجزائر فضلاً عن ايقاف القوات السلطانية حربها عليه بسبب نقص الاموال، فقام في حزيران عام1905 وبمساعدة الفرنسيين بالحصول على الاسلحة واقتراض الاموال مقابل السماح لفرنسا بأنشاء ميناء في الناظور كما سمح لإسبانيا بالحصول على بعض الامتيازات فيما يتعلق بالمعادن والحديد، فضلاً عن تمكينها من بسط نفوذها على مناطق واسعة من الاراضي قرب مدينة مليلية مقابل منحه الاموال[73].

كانت تلك الاجراءات التي اتخذها بوحمارة مع الدول الاجنبية ومنحها الامتيازات دور كبير في التأثير على القبائل المغربية التي تخلت عن فكرة تأييده وانخرطت الى جانب القوات السلطانية في مقاومته[74].

استقرت قوات بو حمارة طوال عام 1905 في مدينة سلوان وكانت تحدث مناوشات حربية وتبادل لأطلاق النار مع القوات السلطانية بين مدة واخرى واستمر هذا الحال حتى عام 1907 الذي شهد حدثين مهمين اثرا على سير المعارك في مواجهة تمرد بو حمارة وكان الحادث الاول يتعلق بقيام القوات الفرنسية باحتلال مدينة وجدة في 29 ايار عام 1907 لاعادة الامن والاستقرار لتلك المدينة المتاخمة للحدود مع مستعمراتها في الجزائر لاسيما بعد حادث مقتل طبيب فرنسي في مدينة وجده[75]، اما الحادث الثاني فتمثل بعزل السلطان عبد العزيز في 16 اب عام 1907 بتدبير من العلماء والقادة وكبار رجال الدولة واعلان البيعة لأخيه عبد الحفيظ[76] ادى الاحتلال الفرنسي لوجده الى تشتيت القوات

السلطانية في المدينة وانعدام التعاون والتنسيق العسكري بين القوات السلطانية المكلفة بمحاربة قوات بو حمارة، اذ ان هذا الاحتلال ابقى القوات السلطانية في مدينة وجدة منشغلة بالدفاع عن المدنية وعدم التحاقها بالقوات الموجودة في الريف قرب مليلة، بينما انسحبت القوات الاخيرة لتحافظ على نفسها من هجمات بو حمارة[77] الذي لم يعارض الاحتلال الفرنسي لوجدة رغم قتاله طوال خمسة اعوام مع القوات السلطانية للسيطرة على هذه المدينة بل فضل مساعدة الفرنسيين ومنحهم الامتيازات وهو الذي اعلن ثورته بسبب سياسة السلطان عبد العزيز في تقريب الاجانب والتشبه بهم[78]

ساهم عزل السلطان عبد العزيز الى خلق جو من التوتر والفوضى والاضطراب في صفوف القوات السلطانية التي فر عدد كبير منهم الى الجزائر وانشغل عدد اخر في النهب والسرقة اما قادة تلك القوات مع عدد اخر من الجيش فقد انشغلت بالتفاوض مع اسبانيا للدخول الى المناطق التي تسيطر عليها لأسباب انسانية وسياسية تتعلق بكونهم في مناطق بعيدة عن مساكنهم فضلاً عن عدم امتلاكهم ما يسد جوعهم ولم تصلهم اي مؤن او مساعدات سلطانية طوال اربعة اشهر، فدخلوا الى مدينة مليلية في 29 كانون الثاني عام 1908 والتي يسيطر عليها الاسبان بعد ان توسطوا عند بو حمارة بعدم تعريضهم للاذى وسط سخرية واستهزاء بو حمارة وقواته بهم[79].

حاولت اسبانيا وفرنسا اقناع بوحمارة بالتوجه نحو مدينة فاس لبسط نفوذه عليها تاركا لهم فرصة زيادة مساحة الاراضي الخاضعة لهم وبالفعل توجه بو حمارة في نهاية عام 1908 نحو فاس فاخضع في طريقة بوادي زا وقصبة المسون ومدينة مكناسة، كما اخضع عددا من المناطق الاخرى فضلا عن ان بوحمارة كان قد ارسل مقترحاً الى السلطان عبد الحفيظ اقترح فيه تقاسم مناطق الدولة المغربية فيما بينهم، فما كان من الاخير الا ان ارسل قوات عسكرية حاربت بو حمارة على مدى النصف الاول من عام 1909[80].

وفي الوقت الذي وقفت فيه فرنسا الى جانب بوحمارة في حربه ضد السلطان المغربي سواءاً كان عبد العزيز او عبد الحفيظ الا انها لم تمانع في الموافقة على طلب الاخير في 19 اذار عام 1909 لتجهيز المغرب ببطاريات من المدافع وبنادق، فضلا عن الى كميات من الذخيرة، اذ اعلنت فرنسا موافقتها على تجهيز المغرب بهذه الاسلحة لسببين هما خوفها من توجه المغرب للتعاقد مع دولة اوربية اخرى لتجهيزها بالاسلحة المطلوبة في حال رفضها الاستجابة لطلب السلطان، اما السبب الاخر فتمثل في رغبه

فرنسا في الحصول على مورد مالي مهم بتخلصها من اسلحة حربية استغنوا عن استعمالها منذ مدة في تنظيماتهم العسكرية[81].

اراد السلطان عبد الحفيظ استغلال الظروف التي حدثت في تلك المدة لصالح قواته مستفيداً من تخلي اغلب القبائل المغربية عن تأييد ومساندة بوحمارة لاسيما بعد تعاونه مع الاجانب ومنحه الامتيازات لهم، فضلاً عن حصول القوات السلطانية على الدعم العسكري من فرنسا اذ زاد القوات السلطانية من شدة الهجمات على قوات بو حمارة الذي بدأ ينسحب من منطقة الى اخرى وقوات السلطان عبد الحفيظ تتبعه، ومن المواجهات التي جرت بين الجانبين هي المعارك التي دارت في ديار بني ورياغل والتي استمرت الى الليل غنم فيها الجيش السلطاني الكثير من الاموال والاسلحة التي كانت لدى قوات بوحمارة فضلاً عن قتل اعداد كبيرة من اتباعه[82]، فهرب بوحمارة واحتمى في زاوية مولاي عمران في 2 اب عام 1909 وكانت الزاوية او الضريح في ذلك الوقت مكانا يحتمى فيه الاشخاص من اعداءهم فلا يدخلون الزاوية لقتالهم او القبض عليهم ، لكن هذا الاحتماء لم يمنع القوات السلطانية من محاصرته[83]، وعندما ارادت اقتحام المكان اطلق بوحمارة النار على القوات السلطانية فقتل احد الجنود، فقامت تلك القوات بإشعال النار في ذلك المكان لاسيما وانه يتكون من الخشب فأختنق بوحمارة من شدة الدخان وخرج من مكان احتماءه فقبض عليه القوات السلطانية بعد ان جردته من اسلحته وربط على بغلة ولما وصل الخبر الى السلطان عبد الحفيظ في فاس ارسل لهم جملا عليه قفص وسلاسل من حديد لتقييد بوحمارة ووضعه في القفص والسير به نحو فاس مع اعطاء زمام الجمل الى القائد الناجم وهو الشخص الذي قام باعتقال بو حمارة[84].

ويذكر عبد الرحمن بن زيدان في كتابه اتحاف اعلام الناس.... ان الشخص الذي قبض على بوحمارة هو عسكري من قبيلة الشاوية جرده من الاسلحة والطوابع التي كان يحملها واخذ الخاتم من اصبعه واخرجه للناس الذين هجموا عليه وسرقوا ما كان يرتديه من الملابس والمجوهرات ولم يبقوا عليه شيئا ثم ارسل في قفص الى السلطان عبد الحفيظ في فاس حيث بنى له مكاناً مرتفعاً في منطقة باب البوجات[85]، وبقي بوحمارة في القفص مدة طويلة يأتي اليه الناس ليتفرجوا عليه وتقام عنده الافراح[86] .

اما اتباع وانصار بوحمارة فقد نالهم جزء كبير من العذاب والقتل والتنكيل وقطع الرؤوس وتعليقها على ابواب المدن وقطع الاطراف وقلع الاسنان واضافة الملح والفلفل الحار الى الجروح التي يحدثونها في اجسام اتباع بوحمارة وهذا ما حدث مع فرقة

الموسيقى التي كانت تعزف لبوحمارة[87] وكانت صور التعذيب والتنكيل هذه تنقل بالصور عبر وسائل الاعلام والصحافة الاوربية مما اثار ردود فعل عنيفة تجاه هذه الافعال الشنيعة اذ كانت تلك الجثث المعلقة على اسوار المدن بدأت بالتعفن والتفتت وبدات الطيور الجارحه تأكل منها وتنتقل من مكان الى اخر مما عرض مدن المغرب لانتشار الكثير من الامراض والاوبئة فخافت الدول الاوربية على رعاياها في المغرب[88]، مما حفز فرنسا على التوسط لدى السلطان عبد الحفيظ لاطلاق سراح بو حمارة، كما حاولت الكثير من الدول الاجنبية ذلك بان اقترحت على السلطان عبد الحفيظ ان يحدد له مكان للسكن في طنجة ويمنع راتبا من الحكومة المغربية[89].

وبعد القبض على بوحمارة، حاول السلطان عبد الحفيظ الدخول في مفاوضات معه محاولاً الاستدلال على مكان الاموال الكثيرة التي كانت بحوزة بوحمارة في الوقت الذي كانت فيه خزينة الدولة شبة فارغة مقابل اغراءه باطلاق سراحه وتوليته على المغرب الشرقي ومناطق الريف الا ان بوحمارة لم يكن مقتنعاً من صحة الوعود السلطانية، فضلاً عن تدهور حالته الصحية، فرفض كل عرض يقدم له مقابل الحصول على امواله[90]، فقرر السلطان عبد الحفيظ قتل بوحمارة قبل ان تتزايد الضغوط الاجنبية عليه اذ يذكر ادريس منو القائد العسكري لمدينة سوس انه دعا بو حمارة للسير معه ليلاً في احدى المزارع وقد استأجر احد العبيد لقتله اثناء السير فخاف العبد من تنفيذ المهمة ورمى المسدس فأخذ ادريس منو المسدس واطلق رصاصتين على بوحمارة توفي على اثرها ولما شك السلطان من صحة خبر الوفاة قام ادريس منو بالذهاب الى جثة بوحمارة وقطع راسه وارسله الى السلطان فأمر الاخير بإرجاع الرأس الى الجسد واحراق الجثة بينما ذكرت الدول الاوربية ان السلطان امر بالقاء بوحمارة على الحيوانات المفترسة لتآكله[91] فنهشت لحمه وكسرت عظامه، الا انه لم يمت فأمر السلطان بقتله واحراق جثته[92]، وبذلك لا يبقى مكان او قبر لبو حمارة ليقصده انصاره ويكون محرضاً على التمرد والعصيان مرة اخرى[93]، الا ان العديد من اتباعه والمؤمنين بأحقية دعوته ونسبه وقدراته الخارقة لم يصدقوا خبر موته واعتقدوا انه سيعود يوماً ما بعد موته حتى ان صهره منع اخته من ان تتزوج لئلا يرجع زوجها (بوحمارة) ويجدها متزوجة[94].

وبذلك انتهت صفحة من صفحات التمرد والعصيان والتي استمرت على مدى سبعة اعوام، كلفت الدولة المغربية اموالا طائلة انفقتها في سبيل القضاء على هذا التمرد واغرقت نفسها في ديون خارجية فضلا عن خسارتها الكبيرة في ارواح شعبها سواء

اكانوا من الجيش السلطاني ام من انصار بوحمارة فاغلبهم ان لم نقل جميعهم كانوا من المغاربة، فضلا عن الخسارة الاكبر والتي تمثلت في الامتيازات التي منحت للدول الاجنبية سواءاً من بوحمارة ام من السلطان المغربي والتي كانت السبب في فرض الحماية على المغرب عام 1912.

**الخاتمة:**

تعد حركة بو حمارة واحدة من اقوى التمردات واكثرها فتنه عرفها تاريخ المغرب الحديث والمعاصر اذ ساهمت بشكل كبير مع عدد من العوامل الاخرى في زيادة التدخل الاجنبي في شؤون المغرب واخضاعه للعديد من المعاهدات والاتفاقيات التي جردت البلاد من وحدتها واستقلالها وفي الوقت نفسه لا يمكننا ان ننكر دور السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ المساهم في ضياع استقلال البلاد، اذ نجح بوحمارة من تأليف حكومة على غرار الحكومة المغربية فضلا عن تأسيس جيش كبير ومتطور على غرار الجيوش التي توجد لدى الدول المستقلة.

كما تمكن بوحمارة من الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم الحربية السلطانية فضلا عن استيلائه على مبالغ مالية كبيرة كانت قد ارسلت لدعم الجيوش السلطانية ولا ننسى الدور الفرنسي والاسباني المساهم في دعم هذه الحركة وتقوية نفوذها لاضعاف الحكومة المغربية وتثبيت اقدام الاجانب في المغرب والدليل على ذلك استعمال بو حمارة للاسلحة الفرنسية الصنع مقابل انشاء وكالات تجارية فرنسية في مناطق نفوذه كما قامت اسبانيا بانشاء الشركة الاسبانية لمعادن الريف للاستغلال المعادن الطبيعية الموجودة في تلك المناطق،وكان بالإمكان ان تستمر حركته هذه اكثر من سبعة اعوام تخلي عدد كبير من القبائل عن دعمه ومساندته بعد ان تبين لهم كذب ادعائه بانه الامير محمد اذ كان ادعاؤ هذا سببا مباشرا في دعمه وتأييده فضلا عن سياسته في تقديم الامتيازات للأجانب كانت عاملاً اخر في اسقاطه وفشل حركته لاسيما ان احد اسباب قيام حركته هي الامتيازات التي منحها السلطان المغربي للأجانب.

## الهوامش والتعليقات

(1) كريديه إبراهيم، ثورة بوحمارة 1902-1909، الدار البيضاء، 1986، ص9-10.

(2) احمد بن موسى(ابا حماد) كان صدرا اعظم في عهد السلطان الحسن الاول امتاز بالذكاء والدهاء والحيل والقدرة على ادارة امور الدولة، اوكل اليه السلطان الحسن الاول التصرف في تدبير الكثير من امور الدولة الخارجية والداخلية، اصبح وليا للعهد بعد وفاة السلطان وتوليه ابنه عبد العزيز الحكم فكان السلطان الفعلي للبلاد والمتنفذ الرئيس فيها، امتلك الكثير من الاموال والقصور، وامر قبل وفاته بإيداع هذه الاموال وممتلكاته في الخزائن السلطانية الا انها تعرضت للنهب والسرقة من الخونة وصرفت في غير محلها. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حضارة مكناس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص429.

(3) لويس ارنو، المحلات السلطانية الجيش المغربي واحداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912، ترجمة محمد ناجي بن عمر، مطبعة افريقيا الشرق، لبنان، 2002، ص60-70.

(4) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية،ج2، مطبعة دار ابي قراق، المغرب، 2005، ص216.

(5) محمد المختار السوسي، حول مائدة الغداء، مطبعة الساحل، الرباط، 1939، ص37-38.

(6) لويس ارنو، المصدر السابق، ص80-81.

(7) محمد بن محمد المشرفي، المصدر السابق، ص215.

(8) لويس ارنو، المصدر السابق، ص100.

(9) المصدر نفسه، ص101.

(10) توفي الوزير احمد بن موسى بمرض سُمي السكت اذ اشرف على علاجه ثلاثة اطباء فرنسي وانكليزي واسباني الا ان العلاج لم ينفعه لاسيما بعد زيادة حزنه على اخوانه الذين سبقوه في الوفاة وهم السعيد بن موسى الذي كان وزيراً للحرب في عهد اخيه والحاجب ادريس فأشتد حزنه على اخوانه مع الآم مرضه حتى توفي بعد اقل من اربعة اشهر على وفاة اخوته، محمد المشرفي، المصدر السابق، ص240.

(11) مصطفى الشابي، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، المغرب، 2007، ص55.

(12) علال الخديمي، التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910، مطبعة افريقيا الشرق، 1994، ص29.

(13) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص15-16.

(14) علال الخديمي، المصدر السابق، ص29.

(15) ضريبة الترتيب نصت هذه الضريبة على حذف جميع الضرائب التقليدية كالزكاة والعشور واصدار ضريبة عامة سنوية تفرض على جميع الشعب سواءاً اكانوا فقراء او اغنياء او اشراف او من عامة الشعب وسواء كانوا مدنيون او عسكريون او اجانب او محميون وتحدد قيمتها حسب ما يملك الشخص من اموال وقد رفضها عامة الشعب فالقراء اعتبروها نهب لاموالهم لانهم معفين من الضرائب التقليدية والاغنياء اعتبروها سرقة لبعض اموالهم وثرواتهم والعلماء اعتبروها مخالفة لتعاليم القران الكريم والسنة النبوية كريوية ابراهيم، المصدر السابق، ص26-27.

(16) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، مفاكهة ذوي النبل والاجادة حضرة مدير جريدة السعادة، تحقيق محمد العلمي، مكتبة عالم الفكر، المغرب، 2013، ص29-30.

(17) محمد الصغير الخلوفي، بوحمارة من الجهاد الى التآمر المغرب الشرقي والريف من 1900 الى 1909، دار نشر المعرفة، الرباط، 1993، ص18.

(18) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السابق، ص23؛ كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص35؛ عبد الوهاب بن منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ص303.

(19) اختلفت المصادر في بيان اصل هذا اللقب لاسيما انه اطلق سابقاً على متمرد اخر اعلن تمرده على السلطان محمد بن عبد الرحمن هو الجيلالي السفياني الذي ينتسب الى قبلية الرواكه فسمي باسم الروكي كما يذكر ابراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ،ج3، دار الرشاد الحديثة المغرب، 1994، ص29؛ بينما يذكر عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص303 انه سمي بهذا الاسم نسبة الى فعل روك بمعنى ثار وتمرد.

(20) لانه كان في اغلب تحركاته وتنقلاته بين القبائل يركب حماراً للتعرف على اخبار الحكومة والوزراء ودرجة التسلح وقوة المدافع التي تمتلكها الحكومة واطلق معارضيه هذا اللقب عليه للانتقاص من قدرة ومكانته بين القبائل لويس ارنو، المصدر السابق، ص123.

(21) إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، وجدة وانكاد في دوحة الامجاد، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، 1985، الدار البيضاء، ص207.

(22) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص35.

(23) المصدر نفسه، ص36.

(24) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص304.

(25) المهدي بن العربي المنبهي كان يعمل في ترتيب الفراش وتنطيف الاماكن الخاصة بالسلطان الحسن الاول والاهتمام بالامور الخاصة للسلطان وبدأ يتقرب من الوزير احمد بن موسى فتدرج في المناصب حتى صار وزيرا للحربية للمزيد ينظر. الصديق الروندة، المهدي المنبهي الوزير الشاهد على بداية الازمة المغربية من 1900 الى 1903، مطبعة الرباط نيت، المغرب، 2006.

(26) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص304.

(27) المصدر نفسه.

(28) عبد الرحمن المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، مطبعة النجاح الجديدة،1995، الدار البيضاء، ص413-414.

(29) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص305.

(30) محمد المختار السوسي، المعسول،ج20، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء،1961، ص36-37.

(31) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص305.

(32) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص37.

(33) اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، المصدر السابق، ص208.

(34) لويس ارنو، المصدر السابق، ص127-128.

(35 ) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السابق، ص25.

(36) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص293.
(37) ابتداءاً من هذه الصفحة والصفحات اللاحقة في بحثنا هذا سنذكر لقب بوحمارة على تسمية الجيلالي الزرهوني لان اغلب المصادر تذكر ان هذا اللقب اطلق عليه عند بداية حركته عام 1902.
(38) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص40-41.
(39) عبد الوهاب بن منصور ، المصدر السابق، ص311-312.
(40) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص294.
(41) لويس ارنو، المصدر السابق، ص140.
(42) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص313-314.
(43) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص294.
(44) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص43-44.
(45) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص295.
(46) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص315.
(47) المصدر نفسه، ص317.
(48) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص295.
(49) المصدر نفسه، ص296.
(50) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السابق، ص52.
(51) المصدر نفسه.
(52) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص320-321.
(53) فردريك وايسجر بر، على عتبة المغرب الحديث، ترجمة عبد الرحيم حزل، مطبعة الامنية، الرباط، 2010، ص115-116.
(54) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص323.
(55) الصديق الروندة، المصدر السابق، ص32.
(56) اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، المصدر السابق، ص210.
(57) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص328.
(58) اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، المصدر السابق، ص213-214.
(59) مصطفى الشابي، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912،ج2، مطبعة الوراقة الوطنية، المغرب، 2007، ص315-370.
(60) ابراهيم حركات، المصدر السابق، ص296.
(61) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص323.
(62) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السابق، ص43.
(63) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص45-46.
(64) لويس ارنو، المصدر السابق، ص148-149.
(65) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص325-326.
(66) إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص298.

(67) اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، المصدر السابق، ص216-217.
(68) عبد الرحمن ابن زيدان، المصدر السابق، ص477.
(69) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السباق، ص36-37.
(70) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص336-339..
(71) العربي الصقلي، مذكرات من التراث المغربي، ج5، تجزئه ومقاومة،المغرب، 1985، ص40.
(72) اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، المصدر السابق، 215-221.
(73) ابراهيم حركات، المصدر السابق،ـــ ص301
(74) المصدر نفسه.
(75) قام احد الرعايا الفرنسيين اسمه الدكتور موشان برفع علم بلاده فوق منزله في محاولة لاستفزاز المغاربة رغم عدم انتمائه لاي هيئة دبلوماسية او سياسية فقام عدد من الاطفال المغاربة برميه بالحجارة حتى مات عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص376؛ بينما ذكر محمد المختار السوسي في كتابه حول مائدة الغداء، ص50، ان العلم الذي رفعه الطيب موشان كان علماً ايضا عادة ما يرفعه الاطباء فوق منازلهم.
(76) كريدية ابراهيم ، المصدر، السابق، ص52-53.
(77) المصدر نفسه، ص53.
(78) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص376.
(79) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص53.
(80) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص382.
(81) مصطفى الشابي، المصدر السابق، ج2، ص400.
(82) كريدية ابراهيم، المصدر السابق، ص58.
(83) احمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ج1، مطبعة عبد السلام جسوس، المغرب، 1974، ص445.
(84) محمد المختار السوسي، المعسول، المصدر السابق، ص70-75.
(85) بقي هذا المكان موجودا الى بدايات عام 1970 عبد الوهاب بن منصور المصدر السابق، ص384.
(86) عبد الرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص479.
(87) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص386.
(88) المصدر نفسه، ص387.
(89) محمد المختار السوسي، على مائدة الغداء، المصدر السابق،ص62.
(90) محمد الصغير الخلوفي، المصدر السابق، ص62.
(91) محمد المختار السوسي، على مائدة الغداء، المصدر السابق، ص63.
(92) محمد غريط، فواصل الجمان في ابناء وزراء وكتاب الزمان، المطبعة الجديدة، المغرب 1927، ص118.
(93) الصديق الروندة، المصدر السابق، ص39.
(94) عبد الرحمن ابن زيدان، المصدر السابق، ص479.